وِلْفِرِدْ كَانْتِولْ سميث

W . C . Smith

ولفرد كانتول سميث مستشرق كندى معاصر، عمل فترة من الوقت مديراً لمعهد ما كجل للدراسات الدينية المقارنة بكندا، ثم مديراً لمركز دراسة الديانات العالمية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة. وهو من تلاميذ «جب» النابهين، أبدى «جب» إعجابا ظاهراً به كما أنه هو دائم الإشادة بأستاذه. والحقيقه أنه أتقن أسلوب المدرسة التى يرأسها «جب» وربما كان أبرع السالكين على طريقتها!

وقد اخترنا له كتاب «الإسلام فى التاريخ الحديث Islam in Modern History»

* * *

يقع الكتاب – في طبعة جامعة برنستون ١٩٥٧ – فى ٣٠٨ صفحة من القطع الكبير، عدا فهرس الأعلام الذى يقع فى تسع صفحات. وينقسم الكتاب إلى ثمانية فصول على النحو التالى: فصل المقدمة بعنوان «الإسلام والتاريخ» والفصل الثانى بعنوان «الإسلام فى التاريخ الحديث» والفصل الثالث بعنوان «العرب: أزمة سياسية» (ويقصد بها الأزمة المتعلقة بالإسلام فى العالم العربى) والفصل الرابع بعنوان «تركيا: حركة إصلاح إسلامية؟» (وعلامة الاستفهام موجودة فى أصل العنوان، ويعنى بها المؤلف: هل يمكن أن نعتبر ما حدث فى تركيا حركة إصلاح إسلامية؟) والفصل الخامس بعنوان «باكستان: دولة إسلامية» والسادس بعنوان «الهند: مشاركة إسلامية»، والسابع بعنوان «مناطق أخرى» والثامن بعنوان «خاتمة».

* * *

هذا الكتاب الكبير الحجم المتعدد الموضوعات، المتسع الرقعة، يدور كله حول فكرة واحدة، ويهدف إلى غاية واحدة، هى تيئيس المسلمين من الإسلام!

ولكن المؤلف لا يقول لك ذلك دفعة واحدة، ولا يقوله لك لأول وهلة!

ao-alkanani.com

إنه يبدأ مرحبًا بك ـ أنت القارئ المسلم بصفة خاصة ـ هاشًا فى وجهك، فاتحًا لك ذراعيه، وزاعمًا لك أنه يفتح لك قلبه كذلك!

إنه ـ يا أخى ـ يحبك! ويحب لك الخير! ويتعاطف معك، ويعطف على موقفك!

إنه يعلم أنك تعانى أزمة فى موقفك الحاضر، وهو يمد لك يده ليأخذ بيدك، ويكون الهادى المرشد لك ليهديك إلى سواء السبيل!

وهو يعرفك جيدا ... يعرف ماضيك المجيد كله، حين كنت أنت سيد الدنيا وقاهرها، والقوة المسيطرة على وجه الأرض. ويعرف كذلك أزمتك الحاضرة ... أنك فقدت سلطانك وغُلبت على أمرك ولم يعد لك من مجدك القديم إلا الذكرى، ولكنك مع ذلك تريد أن تنهض مرة أخرى، وتستمر فى طريقك تستشرف المستقبل. وهنا تكمن أزمتك، أو الجانب الأكبر منها: فعلى أى أساس تنهض، وأى طريق تسلك؟

إنك ـ أو كأنك ـ تريد أن تنهض ومعك إسلامك! أو تريد أن تنهض مستندا إلى إسلامك!

وهنا تكمن أزمتك!

فهل أنت تستطيع أن تصنع ذلك؟

خذ نصيحة المؤلف واسترح .. إنك لن تستطيع! مهما حاولت فلن تستطيع!

فليكن الإسلام ـ إذا شئت ـ عقيدة فى داخل القلب ... أو إذا شئت أن تأخذ التعبير الغربى ـ المسيحى ـ «علاقة بين العبد والرب».

أما أن يكون منهج حياة لك ... فذلك جوهر أزمتك التى أنت متورط فيها، وليس لك إلى حلها من سبيل!

أما بقية الأزمة فهو أنك ـ وخاصة إذا كنت مسلما عربيا ـ شديد الاعتزاز بنفسك، شديد الاعتزاز بماضيك، شديد الاعتزاز بإسلامك ... وهذا هو الذى

يعطى أزمتك طابع الحدة ... فأنت – على هذا الوضع – لا تتقبل الحل الذى يقدمه لك المؤلف بكل « حب » و« مودة » و« إخلاص » وهو أن تترك هذا الإسلام جانبا – فيما عدا عقيدة القلب – وتأخذ الحضارة الغربية واقعا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وفكريا وتكنولوجيا لا علاقة له بالعقيدة!

* * *

ذلك هو الموضوع الحقيقى للكتاب!

ولكن المؤلف – كما قلنا – لا يقوله لك دفعة واحدة، ولا يقوله لك لأول وهلة لكيلا تنفر من أول الطريق! وإنما يظل يدور بك فى دوائر حلزونية تقترب وتقترب، حتى تصل إلى القول الصريح بعد طول التلميح!

وهو كذلك لا ينسى أن يؤثر على وجدانك – أو على أعصابك – بشئ من المديح تارة، وشئ من الإقرار بحقائق الإسلام تارة، وشئ من الإقرار بمواقف الغرب المتعصب ضد الإسلام تارة ... حتى إذا وصل بك « الخدر » إلى أقصاه، دس لك من السم فى داخل العسل ما يريد، وأنت – إذا شئت – راض عنه كل الرضا، ومحبذ، ومستجيد!

وقد مرّ بنا فى الفقرة الثالثة من هذا الفصل، الخاصة بالمستشرق « جب » بيان هذا الأسلوب الذى تتبعه « المدرسة الحديثة » فى الاستشراق، مصدقة به قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٢] ... ولكن الحقيقة أن « سميث » فى هذا الأمر يفوق أستاذه! فعدد « الحقائق » التى يقدمها عن الإسلام ونوعيتها، وكذلك عدد « الاعترافات » التى يقدمها عن موقف الغرب تجاه الإسلام ونوعيتها يفوق ما قدمه « جب » بل ربما كان يفوق ما قدّمه أى مستشرق آخر ممن قرأت لهم. وهذا الذى يجعل القارئ – إن لم يحترس – أكثر عرضة للخديعة فيه!

فحين يعطيك فى فصل « الإسلام والتاريخ » تصويرا دقيقا للإسلام كما يفهمه المسلمون ويؤمنون به، ويحلل تصور المسلم للتاريخ، ويعقد مقارنة دقيقة

obeikandi.com

بين تصور التاريخ عند المسلم والماركسى والمسيحى والهندوسى تخرج منها بأن التصور الإسلامى هو الأشمل والأكثر فاعلية فى حياة الإنسان . . .

وحين يحدثك فى تفاريق الكتاب عن أمجاد الإسلام والنجاح الذى أحرزه المسلمون . . .

وحين يقول لك – مثلا – إن الإسلام « الكلاسيكى » نجح نجاحا بارزا فى تربية رجال لهم خلق، لا تفتنهم أطماع الحياة الدنيا ولا تفسد ولاءهم للدوافع الخلقية، وإنه استمر يعطى هذه النماذج البشرية العالية حتى بعد أن فقد قوته السياسية بفترة طويلة . . .

وحين يعترف لك – من جانب آخر – ببربرية الغرب فى قمع « العرب » كما حدث من الإنجليز فى مصر والفرنسيين فى سوريا والشمال الإفريقى . . . وباستخدام الغرب لكل أسلحته المادية والاقتصادية والسياسية والفكرية فى هذا القمع . . .

وحين يعترف لك بأن الغرب لم يكتف بعدم فهم الإسلام بل وصل إلى ادعاء عيوب ليست حقيقية من أجل الإهانة والتحقير . . .

وحين يعترف لك بأن قمة العدوان الغربى على المسلمين كانت تأييد اليهود ضد العرب فى فلسطين . . .

وحين يعترف لك بأن أوربا تعادى الإسلام عداءً « أصليا » عميقا فى حسها لا تستطيع أن تنساه أو تتخلص منه . . .

حين يصنع ذلك كله، فهو يقوم بعملية « إغواء » ماكرة، هدفها أن تصدق نزاهته، فتتقبل بعد ذلك كل ما يقدمه لك عن الإسلام بروح الرضا، إن لم يكن بروح التسليم! (١) !

* * *

(١) وقع العقاد نفسه فى هذه الخديعة رغم تصديه « للدفاع » عن الإسلام وإبطال ما يرجف به خصومه، وذلك حين خصّه فى كتابه « ما يقال عن الإسلام » بثناء غير قليل، وتحدث عن نزاهته وتجرده، وأنه ليس مثل غيره من المستشرقين!

في الفصل الأول الذى سماه «الإسلام والتاريخ» يصوغ معظم مديحه للإسلام والمسلمين، بعد أن قال فى التمهيد إنه يهدف من كتابه هذا إلى تفهم حقيقة الإسلام وواقع المسلمين ليكون ذلك عونا على التفاهم المشترك بين المسلمين والمسيحيين.

ولا عجب أن يكون ذلك كذلك! ففصل المقدمة هو أولى الفصول أن يقوم بدور الترغيب أو «الإغواء» المطلوب، الذى يوهم القارئ أنه فى جوٍّ صديق، وأنه ليس فى حاجة لأن يمسك بسلاحه: سلاح الحذر والتربص، بل هو أحرى أن يلقى سلاحه ويجلس مستريح الأعصاب يتلقى ما يراد منه أن يتلقاه! ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء: ١٠٢]

فى هذا الفصل كما قلنا يعرض تصور المسلم للإسلام، وكيفية تأثره به، وموقف المسلم من التاريخ، ويعقد تلك المقارنة الدقيقة الواعية بين تصور المسلم للتاريخ وتصور المسيحى والهندوكى والماركسى، ثم يعرض شيئا من التاريخ الواقعى للمسلمين يبين فيه كيف التقى الواقع والمثال فى هذا التاريخ، وخاصة فى فترته الأولى، وأن هذا الالتقاء أصيل فى بنية الإسلام، فإن القيم التى يمثلها الإسلام قد نزلت للتنفيذ ... نزلت لتطبق فى واقع الحياة، لا لتكون مُثلاً تتحقق فى العالم الآخر! وقد طبقت بالفعل، فكان من نتائج تطبيقها ذلك النجاح الكاسح الذى حققه المسلمون فى رقعة واسعة من الأرض، ورقعة واسعة من التاريخ.

كما يعقد مقارنة أخرى بين الفكر الإغريقى والفكر المسيحى وبين الإسلام فى طبيعة العلاقة بين الإنسان الفانى وبين الأزل والأبد، يقول فيها إن الصلة بين الإنسان الفانى والنظام النهائى للأشياء بالنسبة للإغريقى هى العقل المفكر، وإن الصلة بالنسبة للمسيحى هى شخص المسيح. اما بالنسبة للمسلم فالصلة بين الإنسان وبين الله هى التقوى.

هذا كله، وغيره مما يجرى مجراه، يجئ فى الفصل الأول ليقوم بعملية التحذير المطلوبة، وتهيئة القارئ للدور المطلوب .

ومع ذلك فهذا الفصل ذاته لا ينجو من السموم!

ففى صفحتى (٨ – ٩) (والفصل يبدأ فى صفحة (٣) يقوم بالمحاولة الأولى لتمييع مفهوم الإسلام! وذلك حيث يقول فى عرض فلسفى ظاهره الموضوعية الكاملة، إن الإسلام مفهوم عام شامل ولكن له فى الوقت ذاته صورا متعددة بعدد معتنقيه! ومن باب التغطية يقول إن هذا هو شأن الأديان كلها وليس الإسلام وحده!

وفى ثوب الفكر الفلسفى قد تمر هذه «الحقيقة» بريئة المظهر! فلا شك أن هناك قدرا من «الذاتية» فى تطبيق المفاهيم العامة المشتركة، وكل إنسان – فى النهاية – هو عالم وحده، بكل خصائصه الذاتية التى لا يشاركه فيها إنسان آخر. ولكن الذى يقرأ الكتاب حتى آخره، ويدرك الطريقة التى يعرض بها المؤلف كل فكرة يقولها، سينكشف له أن هذه «الحقيقة» التى بدت بريئة المظهر فى أول الكتاب، ستتطور فى النهاية لكى تصبح: أنه لا توجد حقيقة «ثابتة» للإسلام! وأن الإسلام هو ما يتصوره المسلمون من الإسلام! فإذا رأوا – كما رأت تركيا أتاتورك – أن الشريعة ليست ملزمة فلا بأس . . . وهم مع ذلك مسلمون! وإذا رأوا – كما رأت تركيا أتاتورك كذلك – أن رموز الإسلام لا تحتاج إلى مفاتيح جديدة فحسب، بل إنها هى ذاتها تحتاج أن يستبدل بها رموز جديدة، فلا بأس . . . وهم مع ذلك مسلمون!

أرأيت إذن كيف تبدو «الحقائق» بريئة المظهر فى الثوب «العلمى» ويكون وراءها ما وراءها من مغالطات وأغاليط؟!

إن قيام تصور خاص للمفهوم العام فى نفس كل إنسان فرد، لا يذهب بوجود ذلك المفهوم العام، ولا يميعه إلى حد أن يعيث فيه – بهواه – كل من أراد أن يعيث!

والإسلام بصفة خاصة شئ محدد جدا فى أركانه الرئيسية التى لا يقوم إلا بها، ولا يسمى إسلامًا إلا بها.

فتحكيم شريعة الله ، الذى يعطى المجتمع الإسلامى سمته واتجاهاته العامة، ليس أمرا متروكًا لهوى الناس ولا لتصوراتهم الخاصة، بل إنه هو المحك الحقيقى لصدق شهادة لا إله إلا الله التى ينطق بها الناس: ﴿ **وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٤٧ - ٥١] ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥]

وفى صفحة (٣٢) يضع قنبلته الثانية فى صورة «حقيقة موضوعية» أخرى!

فبعد أن استعرض تاريخ الإسلام الظافر الناجح المكتسح، الذى يلتقى فيه الواقع بالمثال، يقول: «ولكن التاريخ يتحرك ... وإذا كانت إحدى حقائق الإسلام الأرضى (يقصد التاريخ الواقعى للإسلام) أن برنامجه قد عمل بنجاح لفترة من الوقت، فحقيقة أخرى أن ذلك كان لفترة من الوقت فحسب. فالحضارة العربية - مثل غيرها من حضارات البشر - قامت وازدهرت لفترة من الوقت - ثم انهارت»!

وزيادة فى «الموضوعية» يقول إن سقوط بغداد على يد التتار سنة ١٢٥٨ لم يكن هو النهاية الحاسمة لما يسميه «الحضارة العربية» فقد بقيت قرنين آخرين فى أماكن أخرى كالقاهرة وأسبانيا.

وزيادة فى «الموضوعية» كذلك يقر بأن حركة إسلامية أخرى قد قامت على

يد أناس من غير العرب، وحققت أمجادا إسلامية جديدة، وكتبت فصلا جديدا في تاريخ الإسلام.

ومع ذلك فهو يركز على « حقيقته الموضوعية » الأولى بأن سقوط بغداد قد أنهى الفترة الكلاسيكية » للتاريخ الإسلامي.

وأما أن هذه حقيقة تاريخية فأمر لا شك فيه.

وأما ما يريده الكاتب « من ورائها » فأمر آخر مختلف كل الاختلاف!

إنه – كما يبدو لمن يقرأ الكتاب حتى آخره بالوعي اللازم له – يريد أن يقول إن هذه الفترة قد انتهت ولن تعود!

ولا يتبادر إلى ذهن أحد أن المؤلف يقصد – كما يقصد بعض المسلمين الذين يفكرون على هذا النحو – أن أخلاق الناس قد تغيرت. وأنه لا أمل – من ثم – في العودة إلى الإسلام الصحيح.

كلا! إنه لا يقصد شيئا من ذلك على الإطلاق!

إنما هو يتخذ من هذه « الحقيقة الموضوعية » التي ذكرها مرقاةً يصعد عليها ليقول شيئا آخر ... إن كل عصر له « إسلام » معين! فالإسلام « الكلاسيكي » انتهى بسقوط بغداد وبدأ « إسلام العصور الوسطى » وهذا بدوره أدى إلى « الإسلام الحديث » الذي هو لون ثالث من الإسلام لا صلة له بهذا ولا ذاك! والذي هو في طريقه إلى « تطور » هائل جدا ... بشائره هي « الإسلام التركي » أو الأحرى أن نقول « الأتاتوركي! » وأما آخر مداه فلا يعلمه إلا الله!

أرأيت!

أرأيت كيف تلتقي الخيوط كلها في النهاية عند عقدة واحدة، تجمّع لها الأفكار واحدة إثر الأخرى، وتسند بالحقيقة « الموضوعية » تلو الأخرى، حتى تظهر « الحقيقة الكبرى » في النهاية، متلبسة في ثوب « علمي » بحت، يخدع من عنده استعداد للخديعة، ويستهوي من عنده استعداد للاستهواء؟!

obeikandi.com

والله يقول لأهل الكتاب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]

ويقول للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمرا: ١٠٠]

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]

إن تغير «المسلمين» فى عصور تاريخية، ثلاثة أو أكثر، لا يعنى تغير «الإسلام».

إن هناك «حقيقة موضوعية» كبرى لا يجهلها المؤلف لأنه ذكرها في كتابه أكثر من مرة، وإن كان قد ذكرها ليحاول صرف المسلمين عنها وهى أن هذا الدين – وحده فى تاريخ الدين كله – له أصول محفوظة لم يتطرق إليها التحريف، وهذه الأصول وحدها هى التى تصور «الإسلام» وتعبر عنه. والناس «مسلمون» بقدر ما يلتزمون بهذه الأصول المحفوظة، وحائدون عن الإسلام بقدر ما يحيدون عن هذه الأصول. وبقاؤهم منحرفين ألف سنة – إن كان ذلك قد حدث (١) – لا يغير حقيقة انحرافهم، ولا يعطى انحرافهم شرعية بحيث يصبح وجها «متطورا» من أوجه الإسلام!

كما أن هناك حقيقة موضوعية أخرى لا يجهلها المؤلف لأنه ذكرها فى كتابه أكثر من مرة، وإن كان قد ذكرها ليحاول صرف المسلمين المعاصرين عنها، هى أن انحراف المسلمين ألف سنة عن حقيقة الإسلام – إن كان ذلك قد حدث (١) – لا يمنع رجوعهم مرة أخرى إلى الصورة الصحيحة للإسلام؛ لأنها

---

(١) حدث انحراف تدريجى فى حياة المسلمين لا شك فيه، ولكنه لم يصل إلى حد الخروج على الإسلام إلا فى العصر الحديث.

صورة واضحة جدا عميقة القسمات جدا، ممثلة فى الكتاب والسنة، وفى الصورة التطبيقية لهذا الدين فترة غير قصيرة من الوقت. وأن هناك قدرا من «التغير» [ولا أقول التطور لكى لا نقع فى مفهومه الأوربى المنبثق من الداروينية] هو من طبيعة التطبيق الواقعى لهذا الدين، بتغير الظروف والملابسات، لا يقع خروجا على الإسلام، بل تحقيقا لروحه ونصوصه معًا، وهو الذى يعطى الفقه الإسلامى المرونة التى يواجه بها الظروف المتغيرة، ولكنه لا يكون أبدا تغيرا فى «المفاهيم» ولا فى «الأسس» إنما فى الصورة التطبيقية فحسبُ. وأن «الثابت» هو الذى يحكم «المتغير» فى الإسلام، وليس المتغير هو الذى يحكم الثابت. وأنه بهذه الطريقة وحدها – التى يقررها الإسلام – ينمو البشر نموهم السوى دون أن يقعوا فى الفوضى والاضطراب والضياع الذى وقعت فيه الجاهلية المعاصرة، التى يسميها المؤلف «الحضارة الغربية» ويدعو المسلمين إلى الأخذ بها بدلا من الإسلام!!

* * *

يتحدث المؤلف فى الفصل الثانى عن الإسلام فى التاريخ الحديث، فيتحدث عن «الوهابيين فى الجزيرة العربية» وعن «ولى الله فى الهند» وعن «الأفغانى» ثم «التطوارت التالية» أى التالية لهذه الحركات السابقة ثم يتحدث عن «الاتجاه التحررى» (أو الليبرالى كما يسمى أحيانا فى كتابات بعض الكتاب!) ثم عن «الاتجاهات الوطنية (والقومية)» ثم عن «حركات (أو كتابات) الدفاع عن الإسلام» وأخيرا عن «حركات العنف فى العالم الإسلامى».

ونظرة سريعة إلى حجم الكلام عن كل عنوان من العناوين السابقة يكشف لنا أين يقع اهتمام المؤلف أو أين يتركز. فقد تحدث عن الوهابية فى ثلاث صفحات وكذلك عن ولى الله، ثم عن الأفغانى فى أربع صفحات وكذلك عن التطورات التالية، بينما تحدث عن الاتجاه التحررى فى ثمان عشرة صفحة! وعن

القومية والوطنية فى اثنتى عشرة صفحة! ثم الكتابات الدفاعية فى أربع صفحات (وإن كان قد عاد إلى هذا الموضوع بالذات عدة مرات فيما بعد، بما يظهر اهتمامه البالغ به) ثم عن حركات العنف فى صفحتين اثنتين (ولكنه عاد إليها مرة أخرى فى الفصل التالى بما يؤكد اهتمامه بها كذلك).

من الواضح إذن أن أشد ما يركز عليه المؤلف هو الحركة التحررية والاتجاهات الوطنية والقومية ... فهل جاء ذلك اعتباطا؟!

ثم يبدى اهتماما واضحا كذلك بالكتابات الدفاعية عن الإسلام وبحركات العنف ... فهل يجئ ذلك اعتباطا؟!

كلا لا ريب! وإنما تكشف هذه الاهتمامات الخاصة عن دخيلة المؤلف من حيث يشعر أولا يشعر، وتكشف كذلك عن أهدافه.

ولنستعرض باختصار ما يقوله تحت كل عنوان من العناوين الفرعية الثمانية الواردة فى هذا الفصل. ونبدأ بمناقشة السطور العشرين التى كتبها فى مقدمة الفصل يشرح فيها أهدافه.

يقول فى هذه السطور إن «المرض» الذى يعانيه الإسلام (١) الحديث هو الشعور بأن خطأ ما قد حدث فى التاريخ الإسلامى، وإن المشكلة الرئيسية للمسلم المعاصر هى كيف يصلح هذا التاريخ ويعيده إلى حركته السوية. والأزمة الروحية الأساسية فى إسلام القرن العشرين تنبع من الإحساس بأن هناك شيئا غير مستقيم بين الدين الذى فرضه الله وبين التطور التاريخى للعالم الذى يدبره سبحانه ويسير حركته (!) ثم يقول إن الهدف من العرض السريع الذى يحويه هذا الفصل هو بيان أثر الصفة الروحانية للإسلام (التى وضحها المؤلف فى الفصل السابق) على التطورات التاريخية التى حدثت بالفعل، وكذلك أثر هذه الأحداث على التطور الروحانى المعاصر للإسلام (!).

---

(١) يستخدم المستشرقون كلمة «الإسلام» ويقصدون بها «المسلمين» كما جاء فى الفصل السابق لغاية معينة فى نفوسهم!

فأما إحساس المسلم المعاصر بأن خطأ ما قد حدث فى مجرى التاريخ الإسلامى فأمر حقيقى لا شك فيه. أما أن الأزمة منشؤها الإحساس بوجود تباين بين الدين الذى فرضه الله وبين التطور التاريخى الذى يسيّر الله حركته فتعبير عجيب من المؤلف (وإن كان كثير من « المثقفين » على يد الغرب يستسيغونه ولا شك!) ولو قال - كما قال مرارا فى كتابه - إن الأزمة هى محاولة التوفيق بين الإسلام وبين الحياة العصرية لكان أكثر دقة واستقامة فى التعبير. أما هذه العبارة العجيبة فهى تصور أزمة لا وجود لها إلا فى وهم المؤلف ... فالمسلم المعاصر يرى فى « التطور » الذى حدث أشياء نافعة ويعتقد أن الإسلام لا يتعارض معها، وأشياء ضارة يعتقد أن الإسلام يستنكرها ويأباها. ولا يحدث ذلك فى نفسه أزمة على الإطلاق، ولا إحساسا بالتباين بين الدين الربانى وبين سير الأحداث فى الأرض بقدر من الله، فالله يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] فلا تعارض إذن بين الدين الذى أوجبه الله وبين جريان الأمر فى الأرض بما يخالف هذا الدين، بقدر من الله!

* * *

يقول عن الوهابية إنها أولى الحركات الحديثة وأعظمها وإنها ما تزال حتى اليوم ذات أثر فعال ... ثم يقول إنها كانت ناجحة فى الصحراء، وإن الصحراء هى ميدان نجاحها الطبيعى! وذلك بعد أن قال إنها تهدف إلى العودة إلى « الإسلام الكلاسيكى »!

وعن ولى الله يقول إن حركته هى حركة تطهير مثل الوهابية، ولكنه يمثل « إسلام العصور الوسطى » أكثر من « الإسلام الكلاسيكى »!

أما الأفغانى فيقرر عنه مجموعة من الحقائق الهامة ذات دلالة لمن يريد أن يتعرف على حقيقته، وحقيقة الدور الذى قام به. والسر فى تعاطف المستشرقين جميعا معه، وإزجاء المديح له، فهو يقول عنه إنه كان يمزج بين الدعوة الوطنية

والدعوة الإسلامية ص (٤٨) ويتعاطف مع الفكر الغربى ويدعو إلى تقليد الغرب! ص (٥٠) .

وعن التطورات اللاحقة يذكر مجرد ذكر حركة السنوسى فى ليبيا، والمهدى فى السودان، والحركة الإيرانية، وحركة شركة إسلام والمحمدية فى أندونيسيا، وحركة الخلافة فى الهند .. إلخ.

أما الحركة التحررية فيفيض فى الحديث عنها كثيرا!

إنه يقول ابتداء إنها آتية كلها من طريق الغرب، وعن طريق التعليم على الطريقة الغربية وفى مدارس الغرب بصفة خاصة. ثم هو يمتدحها امتداحا شديدا، لأنها تهدف إلى « تطوير » الإسلام وتطعيمه بالمفاهيم الغربية، وإدخال الأفكار الغربية فيه للخلوص فى النهاية إلى « إسلام جديد » يغاير « الإسلام الكلاسيكى! » ولا يتقيد بمفاهيمه! ويتبنى « العلمانية » (١) أساسا للتفكير وأساسا للحياة، ويتخذ تركيا مثالا لذلك كله، بصورة تحدد هدف المؤلف تماما، كما تحدد رغباته! إنه يرغب رغبة حارة فى أن ينسلخ المسلمون من إسلامهم كما فعلت حركة أتاتورك ويصبحوا « علمانيين »، ويبقى الإسلام - لمن أراد! - عقيدة قلبية خالصة لا علاقة لها بواقع الحياة، وعلاقة بين العبد والرب لا تؤثر فى مجرى الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية!

ثم إنه بعد ذلك يبدى حسرته الشديدة على أن هذه الحركة التحررية لم تنجح فى العالم الإسلامى!!

ومرة ينحى باللائمة على « التحرريين » الذى تأثروا بالغرب لأنهم لم يستطيعوا أن يقدموا للمسلمين بديلا من الإسلام (!)

ومرة ينحى باللائمة على الغرب لأن موقفه المعادى للإسلام جعل الحركة

---

(١) لفظة « العلمانية » التى تترجم إليها كلمة Secularism الانجليزية لفظة مضللة! فهى - فى صورتها العربية هذه - قد توحى بأن بينها وبين العلم صلة ما. وحقيقة الأمر أن أوربا تستخدمها بمعنى إقامة الحياة بعيدا عن الدين. ومن ثم فالترجمة الصحيحة من وجهة النظر الإسلامية هى « اللادينية » وليست « العلمانية ».

التحررية - الغربية المنبع - لا تجد رواجا كافيا بين المسلمين. ثم يبدى حسرة مرّة على أن الحركة التحريرية اتخذت فى النهاية وسيلة لتقوية العقيدة لا لإضعافها! (ص ٦٨) ومن ثم يقول إنها فشلت تماما فى أداء غرضها الرئيسى!

أما حديثه عن الحركات القومية والوطنية، الذى يستغرق اثنتى عشرة صفحة فيعترف فيه اعترافا صريحا بأن الوطنية (أو القومية) لا تتفق مع الإسلام! (ص ٧٥) ثم يعبّر عن تمنيه بأن ينجح جمال عبد الناصر فيما فشل فيه حزب الوفد من ناحية تعميق الاتجاه الوطنى والقومى! (ص ٧٦) ويحرض المسلمين تحريضا صريحا لنقل ولائهم من الإسلام إلى الوطنية، ويندد بهم لأنهم لم يصنعوا ذلك حتى اليوم! (ص ٧٧) ويحتج عليهم لأنهم - حتى الآن - لم يستطيعوا أن يعطوا ولاءهم لوطن غير مسلم! (ص ٧٨).

وفى موضوع الدفاع عن الإسلام (الذى عاد إليه مكررا فيما بعد) يقول كلاما يبدو فى ظاهره «علميا» تماما و«موضوعيا» تماما، ولكنه كما يقول المثل: كلمة حق أريد بها باطل!

يقول إن الدفاع عن الإسلام يحول الطاقة الفكرية عن حل المشاكل التى تواجه المسلم المعاصر إلى القول بأنه لا توجد مشاكل تحتاج إلى حل ...

ويقول إن مهمة المفكرين هى أن يبحثوا عن الحقيقة وعن حلول للمشكلات التى تواجه الناس لا أن يعطوهم وهما مخدرا بأنه لا توجد أمامهم مشاكل، فتكون النتيجة هى تراكم المشاكل وبقاءها دون حل ...

ويقول عن الموضوع ذاته فى الفصل التالى إنه إذا كان قصارى دفاع المدافعين عن الإسلام أن يقولوا إنه يتسع للحضارة الحديثة، أو إن فيه مثل ما فى الحضارة الحديثة، فهذا ليس دفاعا فى الحقيقة، لأنه يترتب عليه هذا السؤال: لماذا إذن لا نأخذ الحضارة الحديثة كما هى، أو من منابعها التى قدمتها لنا أى من أوربا ... وإنه ما لم يكن الإسلام يحتوى على ما هو أفضل من الحضارة الغربية فليس هناك ما يدعو إذن إلى التمسك به والدعوة إليه ..

وكل هذا حق ... ويبلغ من « حرارة » المؤلف فى عرضه أنك تكاد تصدق أن قلبه مشغول فعلا بالحق، وأنه ينصح المسلمين بالتخلى عن هذا العبث الذى يصنعونه فيما يسمى « الدفاع عن الإسلام » وينصرفوا إلى جهد مثمر ...!

لولا أنه، فى صفحة أخرى بعيدة بعيدة، يكشف فى عبارة عارضة عن السر الحقيقى فى حنقه على الكتابات الدفاعية عن الإسلام!

يقول فى صفحة ٢٢٥ : « ولا نقصد بذلك أن (المسلمين) الآخذين بالروح العصرية قد أصبحوا غير متدينين تماما. لقد حدث ذلك فى حالات نادرة، ولكن الأغلب أن الحماسة الدينية على الأقل بقيت قوية؛ وقد كان هدف الكتابات الدفاعية مثلا أن تبقيها كذلك، وهى فى هذا الأمر لم تخفق » !!

أرأيت !

إن العيب الحقيقى للكتابات الدفاعية ليس كذا وكذا. إنما هو إبقاء روح الحماسة الدينية فى قلوب المسلمين!

وأنا - والله - أوافقه فى أن الكتابات الدفاعية قد مضى دورها، وأنها ينبغى أن تكفّ، وتعطى البديل الطبيعى، وهو شرح حقائق الإسلام ابتداء، لا للرد على الشبهات التى يثيرها الأعداء.

ولكن ... !

لقد وجد بالفعل كتاب مسلمون، يشرحون حقائق الإسلام، ويبينون أفضلية الإسلام على الحضارة الغربية الجاهلية ... فكيف عاملهم المستشرقون؟ وكيف عاملهم بالذات ولفرد كانتول سميث؟

إن كنت تريد أيها القارئ أن تعرف، فاقرأ ما كتبه من « السباب » لواحد من الكتاب المسلمين (ص ١٥٩، هامشة رقم ٢٠٣) لأنه قال إن الإسلام خير من الحضارة الغربية !!

فى هذا الفصل كذلك يعقد مقارنة طويلة - وذكية - بين عهدين من الإشراف على مجلة الأزهر، الأول هو الفترة التى أشرف فيها على تحرير المجلة

الشيخ الخضر حسين رحمه الله، والثانى فترة الدكتور فريد وجدى رحمه الله. ويضع يده – بذكاء – على الفارق الرئيسي بين العهدين. ففى العهد الأول كان هم الشيخ الخضر التعريف بالإسلام لدعوة المسلمين إلى العودة إليه باتباع تعاليمه وتحقيق مبادئه فى عالم الواقع، مع بيان مدى انحراف المجتمعات الإسلامية عن حقيقة الإسلام فى الوقت الراهن. وفى العهد الثانى كان هم الأستاذ فريد وجدى التعريف بالإسلام لتمجيده فى نفوس أتباعه، وبيان عظمته وشموله، وإحياء الاعتزاز به فى النفوس، دون دعوة للناس إلى اتباع تعاليمه فى عالم الواقع، ولا بيان لانحراف المسلمين عنه فى الوقت الراهن. ويبين لك – فى وضوح – أن المنهج الأول هو الصحيح، وهو الأصدق والأعمق، وهو الذى يجب أن يكون عليه العمل، بينما المنهج الآخر نفخ فى الهواء، لا يحدث تأثيرا حقيقيا فى واقع الحياة.

وتكاد تصدق أن الرجل جاد ومخلص فى المقارنة، بتأثير «الحرارة» التى ينافح بها عن المنهج الأول وينتقد بها المنهج الآخر، وتكاد تعتقد أنه وقف واعظا ينصح المسلمين باتباع المنهج الصحيح، وعدم إنفاق الجهد فيما لا طائل وراءه! لولا أنه يوقظك من هذا الوهم بقوله إنه على الرغم من إخلاص الشيخ الخضر رحمه الله وصحة المنهج الذى اتبعه، إلا أنه فى النهاية لا يحل مشكلة ولا يؤدى إلى شئ حقيقى، لعدم إدراك الشيخ لطبيعة المشاكل المعاصرة التى تواجه الإسلام، وعجزه عن تقديم حلول عملية لتلك المشاكل ... فجهده كله ضائع فى النهاية!

وتكاد من جهة أخرى تعتقد أنه مخلص فى انتقاد الأستاذ فريد وجدى، ونصح الأمة الإسلامية بعدم اتباعه، لأنه ليس له مردود حقيقى فى حياة الأمة، ولا يغير شيئا من واقعها السيئ الذى تعيشه اليوم، لولا أنه يكشف لك – سهواً منه – عن السبب الحقيقى فى كل هذا الهجوم الحار على منهج فريد وجدى، إذ يقول لك فى صفحة (٢٢٥) – كما أشرنا آنفا – إن الأعمال «الدفاعية» التى قام بها المدافعون عن الإسلام لإحياء الاعتزاز به فى النفوس قد نجحت فى بقاء الحماسة للإسلام فى النفوس!

ولكن أعجب ما فى هذا الفصل هو قول ولفرد كانتول سميث إن حديث الكتاب الإسلاميين العاطفى عن الإسلام وقيمه ومزاياه لإثارة الإعجاب به والاعتزاز به والتعلق به لحل مشاكلهم الحاضرة هولون من الشرك! وإن هؤلاء الكتاب «مشركون»!! لأنهم بدلا من توجيه الناس لعبادة الله الواحد. يوجهونهم إلى عبادة الإسلام التاريخى!!!

أرأيت كيف يفتى فضيلة الشيخ ولفرد كانتول سميث بأن الدعوة إلى الالتزام بالإسلام شرك بالله وأن الدعاة إليه مشركون؟!

وأخيرا يتبدى لك واضحا ما يريده المؤلف من هذا الفصل الذى هو أطول فصول الكتاب وأشدها تركيزا. إنه يريد أن يقول لك إنه لا فائدة ترجى على الإطلاق من أى جهد - من أى نوع - يحاول به المسلمون إعادة الإسلام إلى التطبيق فى عالم الواقع، وإنما الحل الأوحد هو اتخاذ الإسلام عقيدة فى داخل القلب، واتخاذ «الحضارة الغربية» منهجا للحياة!!

* * *

فى صفحة ١٧٢ يتحدث عما يسميه «الإصلاحات» التى حدثت فى تركيا، ويقصد بها اتخاذ العلمانية منهجا للحياة، يتحدث عنها كأن الشعب التركى هو الذى أحدثها من ذات نفسه برغبة ووعى! ويعتبرها مزية للأتراك تفتقدها الشعوب الإسلامية الأخرى، التى لم تستطع أن تتنصل من ماضيها، ومن رؤيتها السلفية، وتستجيب لمقتضيات العصر! بينما يتساءل «مرو برجر» فى كتاب «العالم العربى اليوم» إلى أى مدى تنجح الحركات المفروضة من أعلى (١)، ويتخذ مثلا لها حركة أتاتورك فى تركيا! ويقول إنها لم تستطع أن تمحو معتقدات الشعب وتوجهاته، بسبب رد الفعل الذى قام تجاهها عند الناس!

ومما يثير السخرية أن يصف حال تركيا المعاصرة - بعد اتخاذها العلمانية - على أنها حال نجاح وتقدم وقوة ووقوف مع أوربا على قدم المساواة! ويعرف الناس

---

(١) سنناقش كتابه فيما يلى من الفصل.

جميعا درجة التبعية التى تعانيها تركيا للغرب، ودرجة الانهيار الاقتصادى الذى تعانيه – مع كثرة خيراتها – ودرجة المعاناة التى يعانيها الكادحون، ودرجة السيطرة التى يمارسها العسكر، على الرغم من كل المظاهر الديمقراطية الخاوية!

ثم يعود الشيخ ولفرد كانتول سميث فى صفحة (١٧٥) فيصدر فتوى جريئة أخرى، تقول إن الكماليين الطورانيين، الذى فعلوا بالإسلام والمسلمين ما فعلوا كانوا مسلمين، وإن التطور الذى حدث على أيديهم كان تطوراً إسلامياً، أو حركة فى إطار الإسلام، بينما يسجل لهم – أو عليهم ! – أنهم كانوا ينظرون إلى الممارسة الإسلامية للدولة العثمانية على أنها كانت مضيعة للدولة!

ويخلص الإنسان من مجموع فتاوى الشيخ بأن الذين هدموا الدين واضطهدوا أصحابه كانوا مسلمين، وأن الذين يدعون إلى إحياء العواطف الإسلامية فى النفوس مشركون! فسبحان الله العظيم!

ويقول الشيخ فى صفحة (١٧٩) إن الدين يمكن أن يوسع! أى بإضافة أمور جديدة عليه. والله يقول إن الدين قد اكتمل: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣] والرسول ﷺ يقول: « من أحدث فى ديننا هذا ما ليس فيه فهو رد » (١).

وفى صفحة (١٨٠) يبدى إعجابه بالأتراك الذين إذا سئلوا عن التكايا هل يعاد فتحها أو الشريعة هل يعاد تطبيقها أجابوا بلهجة القطع لن نسمح بذلك! ويخلط – وهو العالم الفقيه الذى يتصدر للفتوى! – بين التكايا التى هى بدعة، وبين الشريعة المفروضة من عند الله! ويبدى تأييده الحار للذين يعلنون عن نيتهم بعدم السماح بتطبيق الشريعة، ويقول عنهم إنهم مسلمون، والله يقول: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥]

---

(١) متفق عليه.

ثم إنه يتغافل تماما عمن كان صانع «الثورة» فى الحقيقة: هل كان الشعب التركى، أم يهود الدونما؟ وهل كانت «للإصلاح»، أم كانت لإزالة النظام الذى رفض إعطاء اليهود وطنا قوميا فى فلسطين؟ وهو وأمثاله يعرفون الحقيقة كاملة، ولكنهم يكتمون الحق وهم يعلمون!

* * *

فى صفحة (١٨٢) يقول إن الرؤية الإسلامية هى أن الإنسان إما أن يكون خاضعا للوحى وإما يكون متبعا للهوى. ولا يعجبه هذا الوضع! لأنه يزعم أن هناك بديلا ثالثا لا تعترف به الرؤية الإسلامية هو تحكيم العقل !! عقل من يا ترى على وجه التحديد؟! وما الضابط الذى يضبط العقل فلا يميل مع الهوى؟

إن الرؤية الإسلامية تقول إن العقل من أجلّ ما أنعم الله به على الإنسان، ولكنه يجب - لكى يكون منضبطا فى رؤيته - أن يعمل فى ظل الوحى. والفقه الإسلامى كله هو ثمرة إعمال العقل فى إطار الضوابط الواردة فى الوحى، وهذا هو الذى لا يعجب الشيخ ولفرد كانتول سميث!

* * *

فى صفحة (١٨٨) يعود فيجاهد جهاد المستميت ليقول إن الذين حاربوا الدين بكل قوتهم ومنعوا كل مظاهره كانوا مسلمين، وكانوا يعملون بروح إسلامية لإحياء الإسلام، ولكن فى صورة جديدة تغير الظاهر والباطن معا!!

أى إسلام هذا يا ترى؟! إنه الإسلام الذى يرضى عنه الغرب، الذى يحمل اسم الإسلام، ولا يحمل شيئا من حقيقة الإسلام!

وفى ص (١٩٠) يتوجس من عودة التيار الدينى فى تركيا، بما يعنى فشل الاتجاه العلمانى اللادينى الذى رحبت به أوربا يوم قام، ولكنه يحاول أن يعزى نفسه بأن ذلك مستبعد! ويستشهد - فى إعجاب ظاهر - فى صفحة (٢٠١) -

يقول أحد الأتراك العصريين عن الحجاب إنه لا يمكن أن يعود أبداً، فالمرأة التركية الآن تعمل في البنوك وتعمل مدرسة وأستاذه في الجامعة، وقاضية وكيماوية ومحامية، ويستحيل أن يتوافق هذا مع الحجاب! وإن عملية السفور قد قطعت شوطا يستحيل معه أن يعود الحجاب! ويبدو في استشهاده بهذا القول مدى فرحته به، ويكشف في الوقت ذاته عن مدى الغل الذى يحمله الغرب الصليبى للحجاب الإسلامى! ولعل المؤلف قد عاش حتى رأى بعينه ما ظن أنه من المستحيل أن يقع! فقد امتلأت شوارع المدن التركية بالنساء العاملات المحجبات، منهن الطبيبة والمهندسة والمعلمة وأستاذة الجامعة، لا العمل يمنعهن من الحجاب، ولا الحجاب يمنعهن من العمل. وقد كان ينظر في وقت من الأوقات إلى الحجاب على أنه من أشد العوامل التى تجعل الإسلام غير صالح لعصر «التطور» الذى يعيش فيه العالم اليوم!

وفى نهاية الفصل (ص ٢٠٤ – ٢٠٥) يحلم ولفرد كانتول سميث مع بعض الأتراك الذين يستشهد بهم أن يظهر «لوثر» إسلامى، يحدث تغييرات جذرية في الإسلام كالتى أحدثها لوثر في النصرانية! وينسى – أويتناسى – أن هذا الدين محفوظ بحفظ الله: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩] وأن المجددين فيه يقومون بتجديد صلة الناس بدينهم، لا بإبعادهم عنه!

* * *

فى الفصل الذى يليه عن باكستان والدولة الإسلامية يخطو خطوة أخرى نحو الهدف الذى من أجله ألف الكتاب. وبقدر ما هلل للنظام التركى – العلمانى – وتحدث عن «النجاح!» الذى حققه في جميع المجالات، يتحدث هنا عن «الفشل» في جميع المجالات! وقد أحصيت كم مرة وردت كلمة الفشل بنصها فوجدتها تسعا وثلاثين مرة فى فصل واحد كل صفحاته خمسون صفحة! أما إذا أضفنا إليها مرادفاتها وما يدل عليها فقد يزيد العدد على الخمسين!

ومع اعترافه بأن جزءا من الفشل راجع إلى أن الذين تولوا السلطة فى

باكستان عند نشأتها لم يكونوا من «الإسلاميين» إنما كانوا من «المستغربين» الذين تربوا على يد الاستعمار الإنجليزى وتشبعوا بأفكاره، فإنه يعود فيقرر أن السبب الرئيسى للفشل كان هو التوجه الباكستانى ذاته ... التوجه إلى إنشاء دولة إسلامية فى القرن العشرين! وأن هذا المشروع مكتوب له الفشل منذ البدء بسبب التوجه ذاته، لا لأية أسباب خارجة عنه!!

ثم يقوم بمحاولة لإغواء الباكستانيين أن يجربوا العلمانية كما جربتها تركيا (ويظلوا رغم ذلك مسلمين مثل أتاتورك وحزبه!) لأن هذا - فيما يزعم - هو الحل الوحيد للمشكلة التى لن تحل إذا أصر المسلمون على إقامة دولة إسلامية فى القرن العشرين! ويشير فى محاولته هذه إلى نقطتين تستحقان الوقوف عندهما لما فيهما من محاولة خبيثة لصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام. الأولى أن الحديث عن «النظام الإسلامى» والدعوة له هو انحراف عقدى (أشار إليه من قبل) لأن الإسلام «دين» ومهمة الدين هى دعوة الناس إلى عبادة الله لا إلى تطبيق «النظام» الإسلامى. والثانية أن تطبيق النظام الإسلامى لم يحدث كاملا أبدا فى أى مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامى، ولا حتى فى فترة الخلافة الراشدة، لأن النظام الإسلامى شئ سماوى، أما التطبيق فأمر بشرى، ولا يمكن للبشر أن يحققوا ما تريده السماء إلا ناقصا معوجا محرفا، لأن التطبيق يتأثر «بالواقع» بينما ما يأتى من السماء هو «المثال» غير القابل للتطبيق فى عالم الواقع! ومن ثم يحسن صرف النظر نهائيا عن محاولة تحقيق النظام فى الدنيا، وترك ذلك للآخرة!!

أرأيت إلى التحايل الخبيث لصرف المسلمين - بكل الوسائل - عن السعى لإقامة حكم إسلامى؟!

فأما الشبهة الأولى - وهى أن السعى إلى تطبيق النظام انحراف عقدى، وأن مهمة الدين هى دعوة الناس إلى عبادة الله لا إلى تطبيق النظام، فلا أظن أن رجلا فى مثل ذكاء ولفرد كانتول سمث يمكن أن يصدق بينه وبين نفسه ما يريدنا نحن أن نصدقه! ثم ... هل نسى ما قاله هو نفسه فى الفصل الأول من أن

مزية الإسلام على المسيحية أنه يسعى إلى تحقيق « ملكوت الرب » فى الحياة الدنيا ولا يرجئه إلى اليوم الآخر كالمسيحية؟!

إن كل دين جاء من عند الله قد جاء ليطبق فى واقع الأرض. يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ [الحديد: ٢٥] ويقول: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [النساء: ٦٤] فليس السعى إلى تطبيق النظام شركا ولا انحرافا عقديا، إنما هو لب الدين وغايته العظمى، وهو الوسيلة الحقيقية الواقعية لعبادة الله، فإنما يعبد الله بطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه. وما تطبيق النظام إلا التجسيد الفعلى لما أمر الله به. ولا تعارض قط فى حس المسلم الحق بين الجانب الروحى من الدين، وهو محبة الله وخشيته، والإخبات له، وتعظيمه وتمجيده وتسبيحه وتقديسه، وبين إطاعة أوامره فيما يتعلق بالحياة الدنيا (أى تطبيق النظام). بل إن تطبيق النظام هو إحدى الوسائل التى يحقق بها العبد عبوديته لله، وبغيرها لا تتحقق هذه العبودية لقوله تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٤] وقوله تعالى مخاطبا رسوله ﷺ : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢]

والله هو خالق الإنسان والعليم بحدود قدراته: ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤] ويعلم سبحانه ما فيهم من ضعف وقصور، وما يتعرضون له فى واقع حياتهم من ضغوط داخلية من داخل نفوسهم متمثلة فى الرغبات والشهوات، أو خارجية متمثلة فى أوضاع مادية واقتصادية واجتماعية، وهو لذلك لا يكلفهم إلا ما يعلم سبحانه أنهم قادرون على تحقيقه: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: ٧٨]

وفى الإسلام بالذات قد فرض الله الحد الأدنى، الذى لا تستقيم الحياة بدونه، والذى يعلم سبحانه أن البشر قادرون عليه، ثم ترك مجالا واسعا للتطوع النبيل الذى ترتفع به الحياة إلى الآفاق العليا، وحبب فيه ورغب إليه بكل الوسائل، وإن لم يفرضه سبحانه وتعالى لعلمه أنه ليس كل البشر يقدرون عليه. وفى الوقت ذاته يغفر الله التقصير حين يقع من الناس ما داموا لا يصرون عليه: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]

وبذلك يكون الإسلام نظاما واقعيا تماما، وفى الوقت ذاته يحبب الناس فى بلوغ المثال، فيبلغه منهم من يوفقه الله إليه، فيجتمع فيه بذلك خير ما فى الإنسان.

أما قوله - من باب التيئيس - إن النظام الربانى لم يطبق قط تطبيقا كاملا (لاستحالة ذلك) فقول يرد عليه الواقع التاريخى، وهو أطول واقع فى تاريخ أية أمة التزمت بالمنهج الصحيح، رغم كل ما وقع من التقصير والانحراف فى بعض الجوانب.

واعجب ما شاء لك العجب من استدلاله بمقتل الخلفاء الراشدين الثلاثة عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، على أن الإسلام لم يطبق تطبيقا صحيحا حتى فى فترة الخلافة الراشدة! فهل كان تطبيق عمر للنظام الربانى ناقصا أو معيبا؟ فإذا جاء رجل حاقد فقتل عمر، أفيقال حينئذ إن تطبيق عمر للإسلام كان ناقصا؟ وماذا لو قلنا بنفس المنطق إن مقتل كنيدى عام ١٩٦٣ معناه أن النظام الديمقراطى غير قابل للتطبيق على الوجه الأكمل (١)؟ وإذا كان عبد الله بن سبأ اليهودى قام بفتنة أدت إلى مقتل عثمان رضى الله عنه أيقال إن النظام الإسلامى غير قابل للتطبيق؟ فما القول فى اليهودى الذي قتل كنيدى؟! وإذا كان

---

(١) بصرف النظر عن رأينا الخاص فى الديمقراطية، ومدى صلاحيتها لأن تكون بديلا من المنهج الربانى!

الخوارج قد قتلوا عليا رضى الله عنه أيقال إن النظام الإسلامى غير قابل للتطبيق ؟ فما القول فى «الخوارج» الإيرلنديين الذين لا يفتأون يثيرون القلاقل ويقتلون أعداءهم ؟ أيقال إن الديمقراطية البريطانية غير قابلة للتطبيق ؟!

إنها سخافات لا يقدر عليها إلا المستشرقون !

ثم يلتوى مرة أخرى وهو يحاول إغواء الباكستانيين إلى العلمانية فيقول بالتلميح والتصريح إن الإسلام جامد لأنه لا يستطيع أن يتلاءم مع العلمانية بينما المسيحية قد استطاعت أن توائم نفسها مع العلمانية ، بحيث يتعايشان بلا تعارض من هنا ولا من هناك !

نعم ! لقد حدث التعايش بين الكنيسة الأوربية والعلمانية بعد عراك طويل بينهما ، ولكن لا يحدث مثله فى الإسلام مهما عارك العلمانيون وحاولوا ، لا لجمودٍ فى دين الله المنزل (حاشا لله) ، لكن لأنه منذ نزوله لا تنفصل فيه الشريعة عن العقيدة ، وينص فيه على أن تطبيق الشريعة هو من مقتضيات لا إله إلا الله ، وأن من لم يحكم بما أنزل الله راضيا مريدا فقد خرج من دين الله ، بينما رضيت الكنيسة الغربية منذ اللحظة الأولى بفصل العقيدة عن الشريعة وقالت : «أدّ ما لقيصر لقيصر وما لله لله» . ولم يكن عراكها مع العلمانية من أجل تطبيق شريعة الله ، إنما كان عراكا من أجل نفوذها الشخصى ، نفوذ رجال الدين ، الذين لا يطبقون هم أنفسهم شريعة الله المنزلة عليهم ، ويتركون القانون الرومانى - الجاهلى - يحكم الأرض ، مكتفين بجاههم ونفوذهم وأموالهم الحرام التى يجبونها من الناس . فلما تمرد الناس ، سواء الملوك والأباطرة أولا ثم الشعوب بعد ذلك بسبب مظالم الكنيسة وطغيان رجال الدين ، فقدت الكنيسة سيطرتها، فاكتفت - مكرهة - بالنفوذ الروحى ، المتعلق بعالم الآخرة ، وتركت أمور الحياة الدنيا يتخاصم فيها الناس ، فأين يكون هذا الوضع المنحرف فى كلتا حالتيه من دين الله الكامل الذى رضيه الله للناس وقال فيه : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] . والذى يكون فيه «قيصر» بكل سلطانه عبداً لله ، ملتزما بما أنزل الله (١)؟!

---

(١) اقرأ إن شئت فصل «العلمانية» من كتاب «مذاهب فكرية معاصرة» .

وثمت نقطة أخرى يضع فيها ولفرد كانتول سميث سمومه ، هى تمييع صورة الإسلام بحيث يصبح فى النهاية شيئاً هلاميا يتشكل فى كل مرة – ويمكن تشكيله فى كل مرة – على صورة من الصور ... وجميعها تحمل اسم الإسلام : فهناك الإسلام التقليدى Classical Islam ، وهناك إسلام القرون الوسطى Mediveal Islam ، وهناك الإسلام الحديث Modern Islam ، وهذا الأخير ليس شيئا واحدا يمكن تعريفه أو التعرف عليه ، فهناك الإسلام العربى والإسلام التركى والإسلام الباكستانى والإسلام الهندى ، وكل منها شئ قائم بذاته مختلف عن غيره ، وكلها فى الوقت ذاته إسلام ! فما المقصود بهذا الخلط المقصود ؟!

المقصود من ناحية خلع المسلمين عن تصور محدد يتصورونه عن الإسلام ويطالبون بتحقيقه . فإذا كان الإسلام – كما يصوره هو وغيره من المستشرقين ، ويريدون أن يبثوه فى نفوس المسلمين – ليس له كيان ثابت ، إنما هو أشكال عدة. وكيانات مختلفة، فلا معنى للمطالبة بشئ معين اسمه «الإسلام» !

والمقصود من ناحية أخرى الإيهام بأن كل شكل من أشكال الحياة – بما فى ذلك الشكل العلمانى الأتا توركى – يمكن أن يكون إسلاما ، لأن الإسلام ليست له مواصفات محددة يعرف بها ! فإذا جاء الإسلام الأمريكانى الذى يراد بثه في العالم الإسلامى تقبله الناس بالرضا ، لأن الإسلام ليست له حدود معينة ولا مواصفات خاصة ، إنما هو ما يشكله الناس من أشكال ويضعون عليه اسم الإسلام!

ولا شك أن هناك اختلافات جزئية بين ما يطلقون عليه اسم «الإسلام التقليدى» وما يطلقون عليه أسماء أخرى كإسلام القرون الوسطى أو الإسلام الحديث ، ولكن هذا لا يبرر – ولا يغطى – ما يريدونه من تمييع صورة الإسلام حتى يكف المطالبون بتحقيق صورة محددة له عن المطالبة ، وحتى يتقبل الانحراف من يراد لهم أن يتقبلوه باسم الإسلام !

إن فى الحياة البشرية ثوابت يجب أن تظل ثابتة ، وحين تتغير تفسد الحياة،

ومتغيرات تتغير على الدوام . ولو ثبتت علي صورة معينة تفسد الحياة . والإسلام – دين الفطرة – يتجاوب مع الفطرة البشرية فى هذا الشأن ، كما يتحاوب معها فى كل شأن ، لأنه تنزيل العليم الحكيم الذى خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه وما يصلح له . ولذلك تحمل الشريعة الإسلامية ثوابت لا يجوز أن تغيرّ أو تبدل ، ومتغيرات تتسع لما يجدّ فى حياة البشرية من صور الحياة ، محكومة في تغيرها بالأصول الثابتة فى الشريعة . ومن ثم تظل القيم والمبادئ ثابتة وإن تغيرت بعض الأشكال . ويظل المعول عليه هو الأركان الثابتة مع وجود المتغيرات ، ولا يقال – بسبب وجود المتغيرات – إنه لا توجد صورة محددة للإسلام يعرف بها ، ويطالَب الناس بتحقيقها .

ونضرب مثلا من خارج الإسلام للتقريب ، ثم نعود إلي التواءات المستشرقين .

لو أن إنسانا شرقيا نظر إلى الاختلافات القائمة فى الأنظمة الديمقراطية الموجودة فى عالم اليوم ، بين الديمقراطية الفرنسية والديمقراطية البريطانية والديمقراطية الأمريكية ، وديمقراطيات دول الشمال الأوربى (فضلا عن الديمقراطيات الزائفة التى يحصل فيها الزعيم الأوحد على نسبة ٩٩,٩٪ من أصوات الناخبين وتسمى نفسها مع ذلك ديمقراطية !) فقال إنه لا يوجد شئ حقيقى اسمه « الديمقراطية » وإنها شئ هلامى يمكن أن يأخذ أشكالا شتى حسب رغائب الناس . فماذا يقول عنه الرجل الغربى حينئذ ؟!

جاهل أو مغالط !

وسيقول الرجل الغربى : نعم ، هناك فوارق جزئية بين الديمقراطيات القائمة الآن فى الغرب ، لكن فيها قيما أساسية مشتركة ، تجعل منها جميعا « ديمقراطيات » ، هى الحقوق والضمانات التى تشتمل عليها ، كضمانة الاتهام ، وضمانة التحقيق وضمانات المحاكمة ، وضمانات التنفيذ بما لا يخالف القانون ، وحق التعليم ، وحق العمل ، وحق إبداء الرأى ، وحق الاحتجاج ، وحق التمثيل السياسى . أما الديمقراطيات الزائفة فليست حجة على الديمقراطية وإن ألبست ثوبها .

كـذلك نقـول نحن عن الإسـلام . نعم ، هناك فـوارق جـزئيـة بين ممارسـة المسلمين للإسـلام مـا بين الفـتـرة الأولى ، ومـا يسـمـونه العـصـور الوسطى [1] ، والعصور التالية . ولكن هناك قيما أساسية مشتركة ، تجعل منها جميعا صورة إسلامـيـة وإن اخـتـلفت الأشكال ، تلك هي الثـوابت الكثـيـرة في هذا الدين . فالتوحيد من الأسس الثابتة . والعبادات من الأسس الثابتة . والحدود من الأسس الثابتة . وعلاقات الجنسين من الأسس الثابتة . وتحريم الربا وتحريم الخمر وتحريم الزنا وتحريم السفور للمرأة ، وتحريم الخلوة بالأجنبية ، وتحريم الاختلاط بغير ضرورة من الأسس الثابتة . . أما المتغير في المعاملات – بحكم تغير الظروف والملابسات – فـهـو – مع تغيـره – محكوم بالأسس الثابتة . بحيث لا يحل حـراما ، ولا يحرم حلالا ، ولا يصـادم مقاصـد الشريعة . وبذلك تتحدد صورة واضحة حاسـمة للإسلام ، وللمجتمع الإسلامي ، لا تختلط بغيرها من الصور . فالمجتمعات التي تؤمن بالتوحيد ، والتي تؤدي العبادات المفروضة من صلاة وصيام وزكاة وحج ، والتي تطبق فيها الحدود الربانية ، وتحكم محاكمها بشريعة الله ، والتي يحرّم فيها الربا والزنا والخمر والسفور والتبذل الخلقي تختلف ولا شك اختلافا جذريا عن المجتمعات التي لا تمارس هذه العقائد ولا هذه الشعائر ولا هذه الشرائع ، حتى وإن زعم بعضهـا الإسلام ، كـمـا تزعم الديمقراطيات الزائفة التي يحصل فيـهـا الزعيم الأوحد على نسبة ٩٩,٩٪ من الأصوات ، أنها ديمقراطية !

ولكن القضية على وضوحها محل تمييع مقصود من المستشرقين لأكثر من أمر يراد !

* * *

في الفصل التالي : « الهند : مشاركة إسلامية » يقترب خطوة أكثر من الهدف الذي يسعى إليه من أول الكتاب . فيقول عن مسلمي الهند الذين لا

---

(١) يجب أن نتذكر دائما أن أوربا تسمي تلك الفترة من تاريخها « العصور الوسطى المظلمة » بينما كانت تلك الفترة ذاتها من أزهى عصور التاريخ الإسلامي .

مجال أمامهم لتكوين دولة إسلامية ، ولا مجتمع إسلامى ، والمحكوم عليهم أن يعيشوا إسلامهم عقيدة وشعيرة فحسب ، دون أن يفكروا في أن يَحكموا أو يُحكموا بالإسلام .. يقول عنهم إنهم ينشئون إسلاما جديداً (!) وإنهم قد يصبحون أكثر حيوية ، وأكثر إبداعا ، وأكثر إنسانية ، وأكثر تقدما من كل المسلمين الآخرين !

ونمر سريعا على الدعوى المكشوفة – التي تفرزها روح الحقد الصليبى عند المؤلف – التى يحمّل فيها باكستان ومسلميها كل الآثام وكل النتائج المرة التى حدثت وقت انفصال الباكستان عن الهند ، والتى ذهب ضحيتها عدة ملايين من المسلمين قتلاً وحرقًا وتعذيبًا على يد الهندوس والسيخ ، فيزعم أن باكستان هى البادئة ، وأن الهند ، إنما كانت ترد على العدوان الباكستانى ، متجاهلا كل وقائع التاريخ ، ومتجاهلا أن التعصب ليس خلقا للمسلمين ، فقد حكموا الهند ثمانية قرون دون أن يوقعوا اضطهادا دينيا على عباد البقر وعباد الأوثان ، أو يتعرضوا لمعابدهم وعباداتهم المجافية لكل دين سماوى . إنما الذى دفعهم إلي الثأر من الهنود هو المذابح البشعة التى أوقعها الهنود بهم عند الانفصال .

نمر سريعا على هذه المزاعم الواضحة التحيز ، لنصل إلي نهاية الفصل ... النهاية التي يبشر بها ، والتى يدفع الكلام دفعا فى فصل من الكتاب وراء فصل ليصل إليها ، وهى أن وضع الأقلية المسلمة فى الهند هو وضع المسلمين كلهم فى العالم الحديث : أقلية لا تملك أن تعيش إسلامها كما عاشته من قبل خلال ثلاثة عشر قرنا ، وإنما عليها أن تبتدع إسلاما جديدا « يتمشي مع الظروف الحاضرة » .. إسلاما لا يحكم واقع الحياة ، ولا يقيم « دولة إسلامية » ، ولا يطبق شريعة الإسلام ، وإنما يتعايش تعايشا « أخويا ! » مع الأكثرية البشرية التى تسكن الأرض، والتى لا تؤمن بالإسلام ، فتتنازل عن فكرتها الموروثة ، وتعيش الإسلام وجدانا مستسرًّا فى الضمير : « علاقة بين العبد والرب ، محلها القلب ، ولا صلة لها بواقع الحياة » ! وإن لم تفعل ذلك فليس أمامها إلا الفناء !!

ذلك هو الهدف الأول والأخير من تأليف الكتاب !

أيها المسلمون لا تفكروا فى إقامة حكم إسلامى فى القرن العشرين ، وخذوا العلمانية الغربية بديلا من الإسلام ! واحتفظوا بالاسم : اسم «الإسلام» . . . فالاسم – بهذه الصورة – لا مانع منه عند الغرب ، ولا ضرر فيه !!

* * *

ونقول نحن لولفرد كانتول سميث : أما أن المسلمين اليوم فى أزمة ، وأما أن أزمتهم الكبرى اليوم هى البحث عن هويتهم الضائعة ، ومحاولة تحقيقها في عالم معادٍ للإسلام ، يحاول بكل جهده منع المسلمين من تحقيق وجودهم فى عالم الواقع . . . فهذا صحيح . وأما أن الحل الوحيد لهذه الأزمة هو تنازل المسلمين عن حقيقة إسلامهم ، وتحويله وجدانا مستسرا فى الضمير ، وشعائر تؤدّى أو لا تؤدّى ، فهذا هو الحلم الذي يراود الغرب ، سواء منه رجال السياسة أو رجال الحرب أو المستشرقون أو غيرهم من أصحاب الأهواء والأحقاد . . . وهو الحلم الذي لن يتحقق بإذن الله ، لأنه مخالف لوعد الله ، وللسنن الربانية التي تحكم حياة الناس فى الأرض ، ومخالف للواقع المتنامى للحركة الإسلامية فى كل مكان على الرغم من الضغط العالمى ، ومخالف لما تنذر به أحوال الغرب ذاته من قرب انهيار حضارته المادية العلمانية على الرغم من كل ما تملك من وسائل القوة الحربية والسياسية والاقتصادية والعلمية ، بسبب الخواء الروحى والتحلل الخلقى . . بل إن أشد ما يكذب ذلك الحلم هو تكتل العالم كله اليوم لحرب الإسلام تحت عنوان مكافحة الإرهاب ، فإن الغرب يكون في غاية الحماقة إذا تكتل لمحاربة خطر لا وجود له فى عالم الواقع ! إنما يتكتل العالم لمحاربة الإسلام لأنه يراه موجودا فى عالم الواقع ، ويعجز – أولا يريد – أن يتعايش معه على أرض الواقع !

وتلك هى حماقة الغرب الحقيقية . . فلا هو يريد أن يرتفع إلى مستوى الهدى الربانى ، ولا هو يريد أن يكف عن محاربة الهدى الربانى . . . ولا هو يريد أن يقتنع بأن المستقبل للإسلام ، على الرغم من كل الحرب التى ينصبها للإسلام، أو ربما بسبب تلك الحرب ذاتها ، وردود الفعل المتوقعة منها !

أما واقعهم فيقول الله عنه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۞ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٤ ، ٤٥] .

وأما واقع المسلمين - العائدين إلى الله - فيقول الله عنه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور : ٥٥] .